

الرسالة

بجهد أسبوعي للتفكير والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس محرريها السنول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

إدارة الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - هاديين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ عن المدد

الوهونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٨١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦١ - الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

ما يمكن تبديله

للأستاذ عباس محمود العقاد

الفهرس

في عدد مضى من (الرسالة) تعقيب على كتاب « عبقرية محمد » يستدعي التعقيب عليه ، لأن الكلام فيه باب من الكلام في الأدب والتاريخ

وزيد به ملاحظة الأديب « محمد النجار » على ما كتبتاه.

عن رواية النبي عليه السلام للشعر إذ يقول : (... في ص ١٤٤ يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أسكن تبديله . فكان يقول مثلاً : « وبأتيك بالأخبار من لم تزود » لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً » قدم كلمة الإسلام فقال : « كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً » ثم يعقب الأديب فيقول : (وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويفتضيه . والمثال الذي ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ، فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تتم له هكذا « وبأتيك من لم تزود بالأخبار » . راجع السيرة الحلبية في باب الهجرة إلى المدينة)

صفحة	الموضوع
٨٩٣	ما يمكن تبديله ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٩٦	تحية الأزهر في عيده ... : الأستاذ محمد محمد المدني ..
٨٩٨	الحديث ذو شجون : فرحة الأديب بالأديب - عصا إلياس - مع الأستاذ علوية باشا - هلال شبان وهلال رمضان - تقليد جميل - آداب إسلامية
٩٠١	تاريخ التاريخ ... : الدكتور محمد مصطفى صفوت
٩٠٣	طلاب الالتحاق بالجامعة ... : الأستاذ عبد الله حسين ...
٩٠٤	مفاوضات الفتح العربي لمصر : الأستاذ السيد يعقوب ببحر
٩٠٧	رمضان ... : الأستاذ يحيى محمد علي ...
٩٠٨	شهداء المعلمين [قصيدة] : الأستاذ علي الجندي ..
٩٠٩	صرخة الألم ... : الأديب عبد العليم عيسى ..
٩١٠	السيد الأثني للجامع الأزهر : ...
٩١٠	« تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي » ...
٩١٠	مكتبة الشرق المغربي « جولد زيهر » ...
٩١٠	مقدمة « أسكار وايلد » في الفن : الأستاذ عبد الوهاب الأمين
٩١١	البطريرك ... : الأديب رضوان المoadل ..
٩١١	« شباب قلب » ... : ...

والذي نعقب به على تعقيب الأديب هو الكلام فيما يمكن تبديله من الشعر والنثر وكل ما له معنى من القول

فإذا كان المقصود بالتبديل هو نقل كلمة في موضع كلمة بغير نظر إلى المعنى والسياق فالتبديل ممكن في كل كلام بلا استثناء ؛ إذ ليس للكلام قوة مادية تمنعك أن تقدم فيه وتؤخر كما تشاء ، وفي وسع كل قارئ أن يعمد إلى كتاب من الكتب فيقرأه عكساً وطرداً ومن أسفله إلى أعلاه ويضع الأول في موضع الوسط والوسط في موضع الأول ، ثم يعود فيصنع به مثل ذلك إلى غير انتهاء ، فلا يستعصى عليه عصى ولا يحول دونه حائل وليس هذا بالبداهة هو التبديل المقصود حين نقول بإمكان التبديل أو استعصائه ، وإنما المقصود هو التبديل مع بقاء المعنى وبقاء المزية الكلامية أو المزية البلاغية التي من أجلها كان الشعر أو النثر مستحقاً لروايته والاستشهاد به

وكثير من المعنى ومن المزية البلاغية يتوقف على تقديم كلمة إلى موضع أخرى حتى في العبارة التي لا تتجاوز كلمتين أو ثلاث كلمات

فالمالم زيد غير زيد العالم ، وما اختلف منهما إلا تبديل موضع الكلمتين

لأن « المالم زيد » قد تقيده أنك تخص زيدا بالملم وتنفيه عن غيره ، وليس هذا مستفاداً من « زيد العالم » على هذا الوجه وقد شرح علماء البلاغة دلالة التقديم والتأخير وعرض لها الإمام الجرجاني فقال مما قال في دلائل الإعجاز : « ... إنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حال الخارجي يخرج فيميت ويفسد ويكثر به الأذى ، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعينهم منه شيء ، فإذا قتل وأراد مرید الأخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول : قتل الخارجي زيداً ، ولا يقول قتل زيد الخارجي ، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهملهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه . متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وإنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ... » إلى آخر ما قال

على أن الحكمة في التقديم والتأخير معنى من معاني العقل والمنطق وليست بقاعدة من قواعد اللغة وحسب

ولهذا ينص عليها في جميع اللغات ولا يقتصر التنبيه إليها على لسان دون لسان

فالإنجليز مثلاً ينبهون إلى الفرق بين معاني العبارات إذا تغير موضع كلمة واحدة فيها ، ويثولون لذلك بأمثلة كثيرة منها هذه الأمثلة الأربعة

١ - أنا « فقط » أتحدث بهذه القصة إلى فلان

٢ - أنا أتحدث فقط بهذه القصة إلى فلان

٣ - أنا أتحدث بهذه القصة فقط إلى فلان

٤ - أنا أتحدث بهذه القصة إلى فلان فقط

فالفرق بعيد جداً بين كل عبارة من هذه العبارات وبين سائرهما لتغير الموضع الذي توضع فيه كلمة واحدة

لأن العبارة الأولى معناها أنني وحدي أتحدث بهذه القصة إلى الشخص المذكور

والعبارة الثانية معناها أنني أتحدث فقط ولا يصدر مني شيء غير الحديث ، وقد يتحدث به غيري كذلك

والعبارة الثالثة معناها أنني أتحدث بالقصة فقط إلى فلان ، ولا يتمتعى التخصيص ذلك ، فكل ما عدا هذا التخصيص فهو عام لا تقييد فيه

والعبارة الرابعة معناها أن المتحدث إليه هو فلان فقط وليس إنساناً غيره ، ولا تخصيص للقصة ولا للمتحدث ولا للحديث

وتبديل الموضع الذي توضع فيه كلمة فقط ممكن جداً لكل من أراده ، ولكن المهم هو المعنى الذي يترتب على هذا الإمكان .

فإن كان المقصود أن نحافظ على معنى لا يتغير فالتبديل مستحيل أو كالتحجيل ، وإن لم يكن هنالك معنى مقصود فبدل وقدم

وأخر كما تشاء

ونأتي إلى الآيات التي نطق بها النبي عليه السلام فننظر ما إذا كان يترتب على التبديل في مواضع كلماتها ؟

إن منها لأبياتاً لا يتغير منها شيء غير الوزن كالبيت الذي أنشده عليه السلام حين قال للعباس بن مرداس : أأنت القاتل :

أن يروى في مقام الاستشهاد ، ويمكن إذا صرفنا النظر عن كل معنى وكل مقصد

ولكنه مستحيل أو كالمستحيل إذا أردنا المحافظة على معناه . وهو فرق واضح لا ينبغي عن سيد الفصحاء كما أسلفنا ، ولهذا رجحنا الرواية الغالبة ولم نكثر لغيرها من الروايات ، ولهذا كان ينبغي للأديب المقتب أن يترث طويلاً قبل أن يجزم ويتحقق أن قولنا « لا يمكن تبديله غير الصحيح » غير الصحيح هو ما قال وما قاله كل رواية توهم أن محمداً عليه السلام قد غاب عنه الفرق الواضح بين الروايتين

ومادنا بصدد التعقيب على كتاب « عبقرية محمد » فلنذكر تعقيباً سمعناه من المذبح لطالب نجيب من طلاب الجامعة كان يتحدث عن هذا الكتاب ؛ فقد أشار إلى كلامنا عن موت إبراهيم بن النبي عليه السلام حيث تقول : « مات ذلك الطفل الصغير ومات ذلك الأمل الكبير : مات كلاهما والأب في الستين . . . أى صدمة في ختام العمر ؟ أى أمل في الحياة ؟ الدين قد تم وهذه الأسرة قد انقطعت ، فليس في الحياة ما يستقبل ويُنتظر : كل ما فيها للاشاحة والإدبار »

ثم عقب الطالب النجيب بما لغواه أن هذا يأس يتزده عنه مقام الأنبياء

وكل ما نجيب به أن هذا ليس يأس يتزده عنه مقام الأنبياء ، وإنما هو علم بأن الحياة قد أصبحت للاشاحة والإدبار ، ومحمد عليه السلام كان يقول إن « مترك الناي بين الستين والسبعين » فلا يأس في انتظاره لإدبار الحياة بعد الستين

إنما اليأس الذى يتزده عنه مقام النبي أن يأس من أداء الرسالة التى بثت بها إلى الناس ، وهذه قد تمت يوم مات إبراهيم ، فلا يأس فيها ، ولا حرج أن يقبل النبي بعدها على أخراه . وما قلنا عن محمد عليه السلام بعض ما قاله بلسانه الشريف حين قال إن ما به من نموت إبراهيم لهد الجبال . ثم استرجع . وما يكون الاسترجاع إلا أن يذكر الإنسان في كل عمر أنه تارك الحياة وراجع إلى الله !

أصبح نهى ونهب المبيد بين الأقرع وعينه ؟ فإن البيت موزون على قول الشاعر :

وأصبح نهى ونهب العيينة بين عينه والأقرع
ولا فرق بين الوضيين إلا كالفرق بين قولك إن طنطا واقمة
بين القاهرة والإسكندرية ، وقولك إنها واقمة بين الإسكندرية
والقاهرة ، أو كالفرق بين قولك إن زيدا يجلس بين بكر وخالد ،
وقولك إنه يجلس بين خالد وبكر

فهل الفرق بين قول الشاعر « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وقولنا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » هو فرق من هذا القبيل ؟ إن كان الفرق من هذا القبيل فالتبديل ممكن ، وإن لم يكن كذلك فهو مستحيل أو كالمستحيل

والفهم الذى لا ينبغي عن سيد الفصحاء هو أن المثنيين مختلفان .

فالفهم من قول الشاعر أن الأخبار هى المقصودة ، وأن الشاعر يورد قوله على سبيل الاستغراب أو التحدث بالقرب الذى لا ينتظر فى الأغلب الأعم أن يكون : تسمع الخبر الذى تنتظره من مسافر لم تودعه ولم تحفل بسفره ولم تنتظر إيايه ، وهذه هى الغرابة ! وهذا موقع التنبه والاستشهاد

أما قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » فهو شىء آخر فى معناه ، أو هو شىء لا يستشهد به فى الموقع الذى عنده الشاعر فنحن لا تزود التاجر المسافر بزاد ، ولكنه يمود إلينا من السفر بالبضائع والتحف ولا نستغرب ذلك ، إذ لا وجه للقرابة فى أن يسافر المسافر ولا تزوده ثم يمود إليك بشىء من الأشياء . أما أن عنيت غرابة الأمر ، وعنيت الأخبار خاصة فلا بد من التقديم ومن إظهار ما يفيد هذه الغرابة

وهذا فضلاً عن التباس آخر فى قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار »

إذ يحتمل أن يفهم السامع أن المقصود : « من لم تزوده أنت بالأخبار » ثم ينتظر تمام الكلام

ولا وجه لهذا الالتباس إذا لم يتبدل موضع الكلام فتبديل مواضع الكلمات ممكن إذا نحن لم نحفل بهذا الالتباس ويمكن إذا نحن تركنا المعنى الذى من أجله نظم البيت واستحق